قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (النحو الوظيفي) السنة ثالثة ليسانس، تخصص: لسانيات عامة

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

المحاضرة رقم: 03

يوم: 2021/04/20

عنـــوان المحاضرة: القدرة اللغوية والقدرة التبليغية

محاور المحاضرة:

1-الملكة التبليغية في نموذج المعيار.

2-قوالب الملكة التبليغية في نموذج مستعملي اللغة الطبيعية.

3-وظائف القوالب.

4-متى تشتغل القوالب كلها؟

1-الملكة التبليغية في نموذج المعيار:

أخذ مفهوم الملكة التبليغية في الأبحاث الوظيفية (منذ ديك 1989 والمتوكل 1993 ب) صورة أوضح وأدق حيث عرفت هذه الأخيرة توسعا ملحوظا، أمست بموجبه مشكلة من ست ملكات، هي: الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة الاجتماعية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة البيانية، يقابل كل ملكة منها على التوالي: القالب النحوي والقالب المنطقي والقالب الاجتماعي والقالب المعرفي والقالب الإدراكي والقالب البلاغي، حيث يقابل كل ملكة قالبا خاصا يشمل على القواعد والمبادئ الأساسية التي يتفاعل بها مع القوالب الأخرى، لأداء الوظائف الأساسية التي تؤديها اللغات الطبيعية وعلى رأسها الوظيفة التبليغية.

فما هو مفهوم التبليغ في نموذج المعيار أو ما بعد المعيار؟ وما هي العناصر الأساسية المكونة لعملية التبليغ وما هي خصائصها؟ ثم ما هي طبيعة التبليغ وأنواعه؟ وكيف تشتغل القوالب المختلفة المكونة للملكة التبليغية؟

يمكن القول في البداية أننا اخترنا مصطلح التبليغ الذي دعا الدكتور عبد الرحمن حاج صالح في أبحاثه المتعددة كمقابل للمصطلح الأجنبي "Communication" لأنه فضلا عن فصاحته ودقة دلالته على ما يفيده مصطلح التواصل من تفاعل بين المتخاطبين، يمتاز بثروة اشتقاقية تغطي أغلب مكونات عملية التبليغ وأبعادها المختلفة، كالمبلغ (بكسر اللام "Emetteur") والمبلِّغ (بفتح اللام "Recepteur") والبلاغ "Message"

والتبليغ: تبادل البلاغات أو المعلومات بين طرفيين اثنين، **والإبلاغ:** وهو تلقي البلاغ والمعلومات من طرف واحد، **والبلاغة:** وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مع فن إقناع الآخر والتأثير عليه بالقول الجميل، وبذلك لا يكون مصطلح التبليغ أنسب من مصطلح التواصل فحسب، بل يكون أكثر دقة ومرونة وألطف من نظيره في اللغات الأجنبية.

وانطلاقا من شمولية هذا المصطلح وديناميته، يمكن أن نقترح لعملية التبليغ أو دورة التخاطب المخطط الموالي:

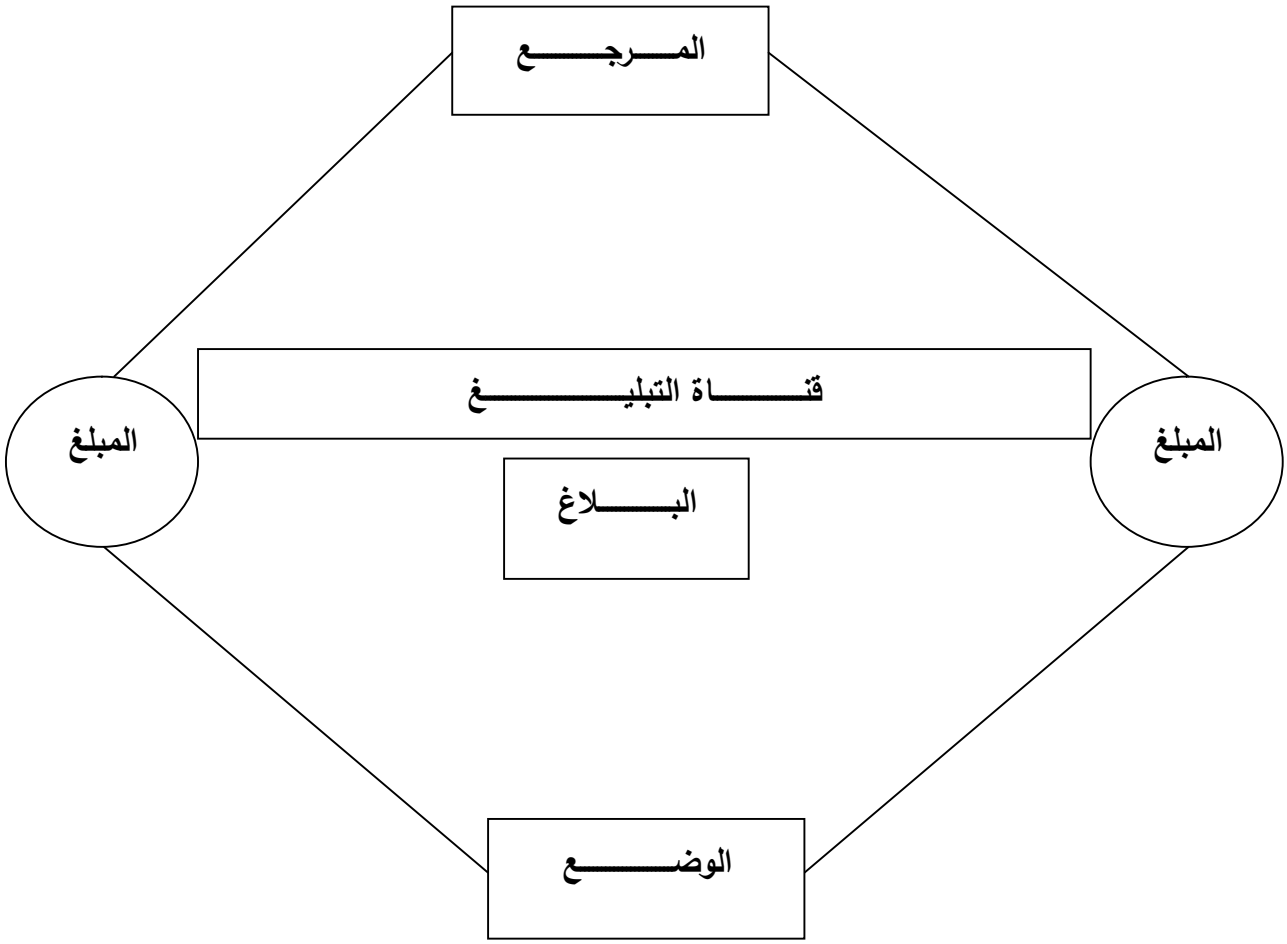

ومما تجدر ملاحظته قبل تفكيك وتوضيح مكونات عملية التبليغ، أننا نفضل استعمال لفظ "اتصل" كفعل و "اتصال" كمصدر، خاصة إذا كان مضافا إلى لفظة "علم" للدلالة على مصطلح "علم الاتصال" "Science de la Communication"، الذي بدأ يتبلور في السنوات الأخيرة من القرن الماضي كعلم قائم بذاته، له حقله الدراسي ونظرياته وأهدافه وتطبيقاته وتقنياته، خاصة في مجال تكنولوجيا الاتصالات الحديثة، التي أصبحت تستخدم مصطلح الاتصال وبعض مشتقاته بمفاهيم دقيقة ومحددة ترتبط بالمفهوم الشامل للاتصال، حيث يكون في هذه الحالة أشمل من مصطلح التبليغ، الذي لا يعدو أن يكون موضوعا من موضوعاته.

وبرجوعنا إلى المخطط يتضح أن عملية التبليغ تتكون من العناصر التالية:

1-1-1-المبلِّغ (بكسر اللام): وهو الموجه للبلاغ أو الباث للرسالة، وقد يكون شخصا أو مجموعة أشخاص (مؤسسة بث إعلامية، أو شركة صناعية أو تجارية...).

1-1-2-المبلَّغ (بفتح اللام): وهو المتلقي أو المرسل إليه الذي يتلقى البلاغ أو الرسالة، ويمكن أن يكون شخصا أو مجموعة أشخاص، ويمكن أن يكون حيوانا أو حتى آلة من الآلات (كمبيوتر مثلا)، وفي كل الأحوال، يمكن أن نقول بأن عملية التبليغ قد تمت، إذا لوحظت آثار البلاغ على سلوك المبلغ أو المرسل إليه (غير أن ذلك لا يعني أن البلاغ قد فهم، لأن عملية استقبال البلاغ شيء وفهمه شيء آخر).

1-1-3-البلاغ: ويعني الرسالة أو المضمون التي تحمله تلك الرسالة في طياتها، من معلومات وأخبار ومقاصد، يتوجه المبلِّغ بها إلى غيره، شفويا أو كتابيا...

1-1-4-قناة التبليغ: وهي المسلك الذي يمرر المبلِّغ من خلاله البلاغ إلى المبلِّغ أو المتلقي، وتتنوع القناة بتنوع الوسائل التي تنقل بها البلاغات المختلفة، فقد تكون:

أ-وسائل سمعية: ذبذبات صوتية، موجات سمعية، تنقل إلى الأذن بوسائل متعددة، كالميكروفون والهاتف...

ب-وسائل بصرية: كالألياف البصرية، والإبهار بالألوان الضوئية...

وتبعا لقناة التبليغ، يمكن أن نقوم بتصنيف أولى عام للبلاغات، كمايلي:

أ-البلاغات البصرية "Messages visuels": وسيلتها الأساسية هي الصورة، كالبلاغات المعتمدة على "الأيقونات" والرسوم، والصور الفوتوغرافية، أو الرموز، كالبلاغات التي تعتمد الرموز الكتابية: الكتابة.

ب-البلاغات السمعية "Messages sonores": وتشمل البلاغات التي تقوم على الكلام، أو الموسيقى أو الأصوات الطبيعية المختلفة...

ج-البلاغات اللمسية "Messages tactiles": وهي نوع خاص من البلاغات، تعتمد أساسا على حاسة اللمس، كلمس المكفوفين للحروف الطباعية، أو نوع المصافحة (بلمس اليد برقة أو بفتور، أو بالضغط عليها بقوة، أو جذبها بعنف...)، أو المسك من مناطق معينة من الجسم أو قرصها...

د-البلاغات الشيئية "Messages olfactifs": وتشمل البلاغات التي تقوم على حاسة الشم، مثل العطور والروائح المختلفة، مع ملاحظة أن هذا النوع من البلاغات ترتبط ارتباطا وثيقا بقصود مبلغيها.

هـ-البلاغات الذوقية "Messages gustatifs": وهي البلاغات التي تتخذ حاسة الذوق أساسا لأداء رسائل محددة، من خلال تقديم طعوم أو مشروبات أو حلويات أو مخللات معينة...

و-البلاغات الإشارية أو الإيمائية "Messages gestuel/kinésiques":
وتشمل البلاغات التي تعتمد على أنساق إشارية مختلفة، تصاحب الكلام أو تكمله أو تعوضه أو تكون بديلا عنه، مثل نظام إشارات المرور المختلفة (برا وبحرا وجوا)، وأنظمة الإشارات الحركية المرتبطة بجسم الإنسان كتمرير بلاغات معينة في مقامات وسياقات محددة، بتحريك الحاجبين أو زم الشفتين أو هز الكتفين أو رفع اليدين أو تشبيك الأصابع... فضلا عن أنظمة الإشارات المتصلة بالعادات والطقوس لدى المجتمعات، كالحركات والإشارات المصاحبة للشعائر الدينية والأعياد والاحتفالات الرسمية.

ز-البلاغات البونية "Messages proxémiques": تعني البلاغات البونية (من البون: المسافة بين جسمين) مجموعة السلوكات المرتبطة بالمكان، أي الكيفية التي يتم بها سلوك الأفراد عند تجمعهم في فضاء ما، أو التصرف المكاني الذي يعطينا معلومات ودلالات معينة، فهناك تقطيع عام للفضاء، تصنف بموجبه المسافات بين الأشخاص إلى مسافات: حميمية، شخصية، اجتماعية، علنية، وتعطي نسبا متقاربة متعارف عليها في الثقافات المختلفة، فمثلا الغرباء الذي لا يعرف بعضهم بعضا يحتفظون بمسافة فيما بينهم، حيث يحتلون مقاعد منفصلة أو متباعدة، إذا التقوا في مكان ما، وحين يكون الاقتراب أو الاحتكاك قسريا في الحافلات المكتظة أو المصاعد على سبيل المثال، يخفف الإزعاج بالنظر إلى ناحية مغايرة، وعلى العكس من ذلك تماما مع المعارف أو الأقارب، خاصة مع أفراد الأسرة التي ينزع أفرادها إلى التجمع وتقليص المسافة فيما بينهم والإقبال على بعضهم...

1-1-5-الوضع: وهو مجموعة القواعد التي ينظم بها المبلغ مجموعة العلامات المكونة للبلاغ الذي يتوجه به إلى غيره، فالمبلغ أو المرسل يموضع أو يرمز، والمرسل إليه أو المبلغ يفكك الرموز ويحللها، ليفهم القصد من مضمون البلاغ الموجه إليه.

وبالنظر إلى العلامات وقواعد تنظيمها لدى كل من المبلغ الذي نشير إليه اختصارا بـ (م1) والمبلغ بـ (م2) وإلى العلامات المشتركة بينهما بدائرتين، تكون عملية التبليغ ناقصة أو تامة أو منعدمة، حسب الحالات التالية:

أ-**الحالة الأولى:** تنعدم عملية التبليغ، إذا كان الوضع (code) بين المبلغ والمبلغ مختلفا، أو كانا لا يملكان أية علامة مشتركة بينهما، من ذلك مثلا: شخصان يتكلمان لغتين مختلفتين، ولا يعرف أحدهما لغة الآخر، كأن تجري محادثة بين عربي وصيني، ويمكن التمثيل لذلك بالرسم الموالي:

ب-الحالة الثانية: تكون فيها عملية التبليغ محدودة، إذا قلت فيها العلامات اللغوية المشتركة بين المتخاطبين، من ذلك مثلا محادثة بين انجليزي، وطالب ثانوي عربي يدرس الإنجليزية منذ عام، كما يوضحه الرسم المقابل:

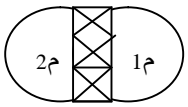

ج-الحالة الثالثة: وتكثر فيها العلامات المشتركة بين المتخاطبين، غير أن هناك بعض العناصر المبلغة من مرسل (م1) البلاغ، قد تكون غير مفهومة من المرسل إليه (م2) ومن أمثلة ذلك إلقاء درس أو محاضرة عالية المستوى على طلبة غير مهيئين لها، كما بينه هذا الرسم المرفق:

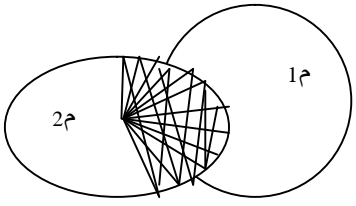

د-الحالة الرابعة: وتمثل التبليغ الجيد والتام، وهي الحالة التي تكون فيها كل العلامات التي يبلغها المرسل (م1) مفهومة من قبل المبلغ (م2)، مع ملاحظة أن العكس ليس صحيحا من ذلك مثلا: نقاش بين طالب وأستاذه، حول فكرة أو قضية وردت أو محاضرة، كما يمثله الرسم المقابل:

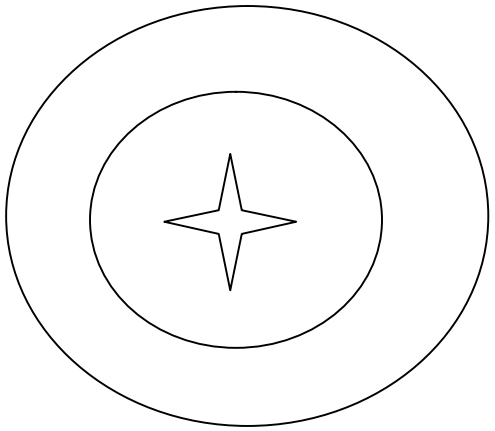

مع ملاحظة أن الوضع المشترك بين المتخاطبين في أي لغة طبيعية غير كاف للتبليغ الجيد بينهما، ذلك أنهما لا يملكان بالضرورة نفس الثروة اللفظية، ولا يتحكمان في القواعد النحوية بنفس الدرجة.

1-1-6-المرجع: ويتمثل في السياق والمقام والأشياء التي يحيل عليها البلاغ أو الرسالة، ذلك أن العلامات المكونة لها، ليست علامات طبيعية، وإنما هي علامات لفظية وغير لفظية، تواضع عليها أفراد الجماعة أو العشيرة اللغوية، وتحيل إلى وقائع معيشة أو خيالية أو ذهنية، ويمكن التمييز بين نوعين من المراجع:

أ-**المرجع المقامي "Référent situationnel"**: ويتكون من جملة العناصر المكونة للمقام، وأهمها: المبلغ والمبلغ (بكسر اللام وفتحها) والزمان والمكان والظروف التي تجري فيها عملية التبليغ... فمثلا عندما يقول الأستاذ لطلبته: ضعوا كتاب النصوص على الطاولات، فإن بلاغه هذا يحيل على مقام له عناصره المكانية (قاعة الدرس) والزمانية (زمن

قراءة النصوص أو شرحها: ساعة معينة من الصباح أو المساء)، وأشياء حقيقية (الكتب والطاولات...).

ب-المرجع النصي "Référent textuel": وتمثله عناصر السياق اللغوي التي يعكسها نص البلاغ، فالرواية أو القصة مثلا، كل إحالاتها نصية، سواءا تعلق الأمر بالمرسل (الكتاب) أو المرسل إليه (القارئ) أو بالشخصيات والأمكنة والأزمنة... التي يعكسها عالم الرواية الزاخر بالأحداث.. غير أن هذه الإحالات غالبا ما تكون خيالية بعيدة عن الواقع، ذلك أن الشخصيات الروائية شخصيات ورقية، والأمكنة والأشياء موضوعات نصية، لا تحيل على أمكنة حقيقية (شاطئ، رمل، مصطافون...) تكون حاضرة أثناء عملية التبليغ.

2-قوالب الملكة التبليغية في نموذج مستعملي اللغة الطبيعية:

سبق الحديث بأن الملكة التبليغية في تصور النحو الوظيفي، تتضمن ستة قوالب هي القالب النحوي والقالب المنطقي والقالب الاجتماعي والقالب المعرفي والقالب الإدراكي والقالب البلاغي، تتكفل برصد الملكات الست: الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة الاجتماعية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة البيانية.

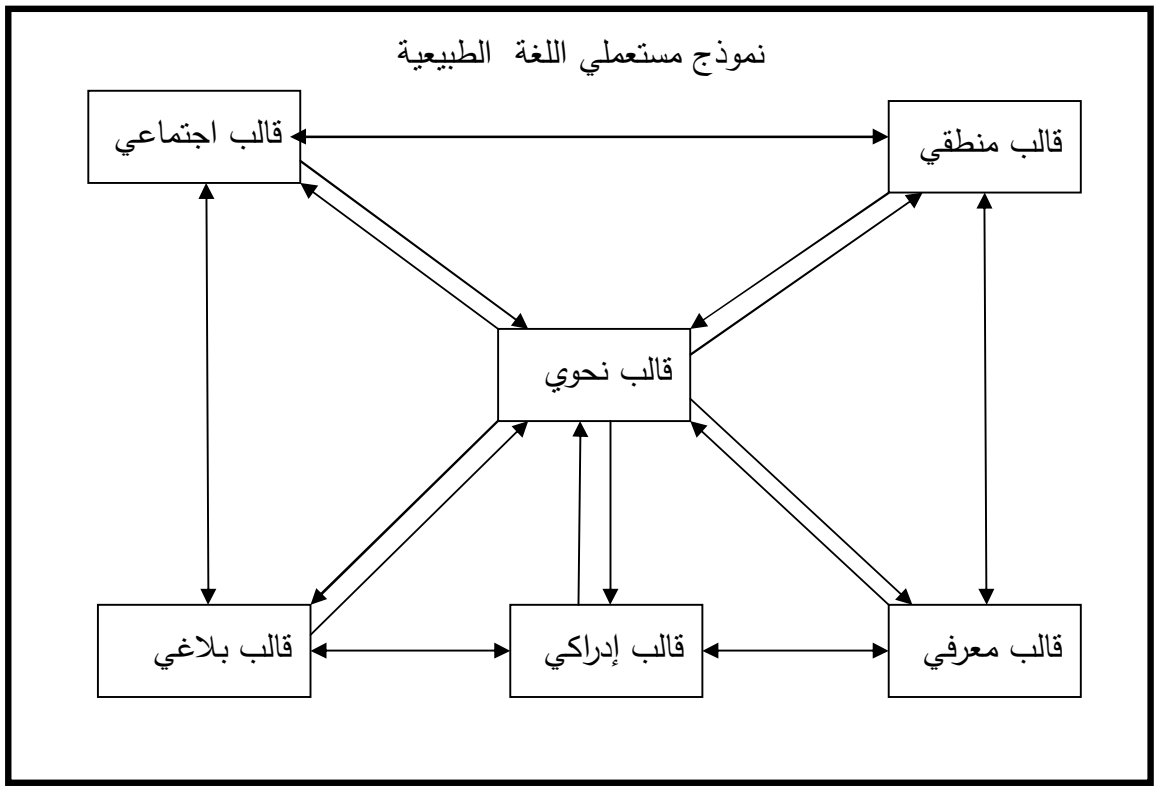

يتضح من هذا الشكل أن القالب النحوي هو القالب المركزي الذي يهيمن على القوالب الأخرى، فهو كما تدل على ذلك السهام المزدوجة الممتدة منه وإليه، لا يستغني عنه في الغالب أي قالب، في حين قد يستغني هو عن كل القوالب، أو على الأقل عن بعضها تماما، كما تتسم هذه القوالب الست بخاصيتين:

أ–استقلالية كل قالب عن القوالب الأخرى من حيث موضوعه ومن حيث أولوياته (مبادئه وقواعده).

ب–تعالق القوالب الست فيما بينها رغم استقلاليتها، بحيث يفضي بعضها إلى بعض، فيكون خرج بعضها دخل بعض، كما تدل على ذلك السهام الأحادية.

غير أن القالب النحوي على مركزيته وثقله، تتفاوت أهميته حسب المخزون المعرفي لكل من المبلغ والمبلغ، الذي يستمدانه من القالب المعرفي، في مرحلة من مراحل عملية التبليغ، فكلما قل هذا المخزون عند كليهما أو أحدهما، ازدادت الحاجة إلى التوسل باللغة

وإلى القالب النحوي، والعكس صحيح إذا كان مخزونهما المعرفي يتضمن معارف كثيرة أو كافية، تغني عن اللجوء إلى الكثير إلى اللغة، تقل أهمية القالب النحوي بالنظر إلى قوالب أخرى، وعلى رأسها القالب المعرفي.

وبناء على ذلك تساءل الباحثون عن الوظائف التي تؤديها هذه القوالب، وعن الكيفية التي تشتغل بها منفردة ومجتمعة، وعن طبيعتها وتفرعاتها.

3-وظائف القوالب:

تتعلق وظيفة كل قالب من قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية بالدور الذي يلعبه في إنتاج وتأويل البلاغات اللغوية، وبالرجوع إلى ما يميز كل ملكة من الملكات التي تشكل الملكة التبليغية بالمفهوم الآنف الذكر، يمكن أن نحدد بالتقريب الوظيفة أو الدور الذي يضطلع به كل قالب كمايلي:

أ-يضطلع القالب النحوي بإنتاج العبارات اللغوية وتأويلها إنتاجا وتأويلا سليمين بالنظر إلى الموقف التبليغي، وتتم عمليتا الإنتاج والتأويل أو التوليد والتفسير عبر قوالب فرعية وقويلبات متفرعة عن القالب النحوي العام أو الأساسي، كقالب البنية التحتية وقالب قواعد التعبير وقالب التطريز.

ب-ويتكفل القالب المنطقي باشتقاق بنيات تحتية، من البنية التحتية المحددة في إطار القالب النحوي، عن طريق قواعد ومبادئ استدلالية يكون حصيلتها بنية اشتقاقية، تشكل جزءا من التمثيل الدلالي/التداولي للعبارة اللغوية، يأخذ بعين الاعتبار التأويل الدلالي من جهة، وتزويد قواعد التعبير (كإسناد النبر والتنغيم...) بالمعلومات اللازمة التي لا تتوافر إلا في هذه البنية المشتقة من جهة أخرى.

ج–ويقوم القالب الاجتماعي بتحديد الكيفية أو الكيفيات التي يجب أن يتم بها التبليغ، بالنظر إلى الخلفيات الاجتماعية والقيم الثقافية والحضارية، التي تشكل توجهات المتخاطبين وقناعاتهم بصفة عامة، وتطبع سلوكاتهم وتصرفاتهم بصفة خاصة، إضافة إلى عوامل أخرى لها علاقة بالوضع الاجتماعي والثقافي والفزيولوجي للمتخاطبين، كانتماء المتخاطبين إلى جنس وسن معين وطبقة اجتماعية ما، وفئة معينة من المثقفين...

د–ويقوم القالب المعرفي بتخزين المعارف، التي ترد عليه من القوالب الأخرى، وتنظيمها لاستعمالها متى دعت الحاجة إليها في تأويل أو إنتاج العبارات اللغوية.

هـ–وينهض القالب الإدراكي باشتقاق معارف من الموقف التبليغي ومن المدركات الحسية، ليخزنها في القالب المعرفي بهدف استعمالها في إنتاج وتأويل العبارات اللغوية، إذا دعت الحاجة.

و–أما القالب البلاغي فهو القالب الذي يحوي المبادئ والقواعد والتقنيات الفنية التي تمكن المبدعين من إنتاج الآثار الأدبية المختلفة، وتمكن المتلقين (قراء ونقادا) من وصف أدبية أو فنية تلك الآثار وصفا كافيا وتأويلها تأويلا مناسبا.

4–متى تشتغل القوالب كلها؟: لعل الإجابة الشافية والكافية عن هذا السؤال، تحتاج في حقيقة الأمر بحثا أكاديميا قائما بذاته، وفي انتظار ذلك، نكتفي بتتبع بعض الأمثلة التي أوردها المتوكل في هذا الصدد ملخصة كالآتي:

أ–يتلقى المخاطب بلاغا أو عبارة لغوية ما(شفويا أو كتابيا)، ولتكن على سبيل المثال الجملة التالية:

(21) هات "دلائل الإعجاز" من المكتبة.

يتكفل القالب النحوي بتحليل الجملة (21) إلى بنيتها المكونية، أي يمده بمعلومات صرفية-تركيبية، غير أن عملية التحليل هذه لا تحدد لنا إلا المعنى اللغوي الصرف؛ أي معاني كلمات الجملة والعلاقات الدلالية والتركيبية والتداولية القائمة بينها، لذا يتحتم اللجوء إلى قوالب أخرى لتمدنا بمعارف أو معلومات إضافية، نتوصل بها إلى التأويل المناسب والغرض المقصود لمبلِّغ هذه الجملة أو الرسالة.

ب-لإدراك ما تحيل عليه عبارة "دلائل الإعجاز" يتحتم اللجوء إلى القالب المعرفي الذي يزودنا بمعلومة محددة مفادها أن هناك لغويا مسلما كبيرا، ألف عدة كتب لغوية أشهرها دلائل الإعجاز في علم المعاني، وقد يلجأ إلى القالب الإدراكي للتعرف على هذا المصنف بكيفية أدق، بواسطة لون غلافه وحجمه مجلد أو نسخة عادية (والدار التي طبعته وغير ذلك...)

ج-ويلجأ مرة أخرى إلى القالب الإدراكي أو المعرفي (أو إليهما معا) لمعرفة ما تحيل عليه كلمة "المكتبة"، أي المكتبة المشار إليها أو المدركة من بين عناصر الموقف التبليغي في هذا السياق الذي تجري فيه عملية التبليغ، أهي مكتبة القسم أم مكتبة الكلية أو المكتبة المركزية...

د-رغم المعلومات التي استقيناها من القالب المعرفي والقالب الإدراكي، تبقى الجملة (21) ملتبسة من حيث غرضها الإبلاغي الذي قصده صاحبها؛ أي من حيث قوتها الإنجازية: أهي أمر أم التماس مثلا؟

لذا يلجأ إلى القالب المنطقي هذه المرة، لرفع الالتباس وتحديد الغرض المقصود، وذلك باشتقاق بنية تحتية فرعية تحمل القوة الإنجازية الواردة.

هـ-ويستعين القالب المنطقي نفسه بالقالب الاجتماعي، إذ يحدد هذا الأخير المعلومات المتعلقة بالعلاقة الرابطة بين المتخاطبين، أهي علاقة قرابة أم زمالة؟ وما هي الوضعية الاجتماعية لكل منهما؟ وهل هي علاقة أعلى بأسفل أو علاقة تساو؟ حيث تسهم هذه المعلومات في اشتقاق القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا، فتحدد بالضبط ما إذا كان الأمر يتعلق بالتماس أو بأمر بالنسبة لمثال الجملة (21).

قائمة المراجع:

-أحمد المتوكل:

-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، -بنية الخطاب من الجملة إلى النص-، دار الأمان، الرباط، 2001.

-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2013.